إشكالية الأحقية والنووي: الشرق الأوسط بين صراع الأيديولوجيا وحتمية التعايش الإنساني

نور الحسين الياسري

في خضم آلاف التوقعات والتحليلات، وفي طيات عالم يشحذ الحروب خوفاً من السلام، حتى بات الاستقرار فيه أهم سبب للقلق والعكس صحيح، نرى فيه جميع الخطابات تستند في لغتها إلى تاريخ تكاد تنعدم مصداقيته إن لم يكن قد فقدها تماماً. ومن هذا الركام، تبرز إلينا أحد عاتي علل الوجود، وأهم مرض أدى إلى احتضار الحق وموت الحقيقة، ألا وهو" :**الأحقية**."

,ومن هذا المنطلق يجب علينا تفسير الامر و حلوله على الشكل الاتي

سوسيولوجيا الأحقية: من المفهوم إلى التجاوز

إن الأحقية، في جوهرها وسياقها العام، هي صفة تمنح صاحبها الأولوية في الحصول على شيء معين، مادياً كان أو معنوياً، بناءً على معايير محددة كالأقدمية أو الكفاءة. وفي القانون، هي الرابطة التي تعطي سلطة المطالبة بميزة مدعومة بنص أو عقد، بينما في الفقه ترتبط بمفهوم "الأولى بالمعروف."

لكن الإشكالية الكبرى بدأت حين تم تسييس هذا المفهوم؛ فتمادى البشر بطبيعة حالهم وتجاوزوا الحد المسموح به، وباتوا يفصلون كل حق وفق مقاس قناعاتهم الخاصة. ومن هنا صار حق الحياة مسلوباً بيد السلطة، وحق الرأي مسلوباً بيد القوة، وحق "الحق" نفسه مسلوباً بيد الباطل المتسلط. إننا أمام "تضخم في الأحقية" أدى إلى ضياع الجوهر الإنساني لصالح الأنانية الأيديولوجية.

الشرق الأوسط: ازدحام الأيديولوجيا وفراغ الحوار

ما نراه اليوم في الشرق الأوسط ما هو إلا شرح مفصل لهذا المفهوم في سياقه المشوه. فمذ صار التاريخ تاريخاً، كانت هذه المنطقة تنفر من الاستقرار؛ وذاك أمر بديهي لأنها تكاد تخلو من أي فراغ فكري يسمح بدخول مفاهيم حداثية جديدة. إنها منطقة مزدحمة بأيديولوجيات دينية راديكالية، بعيدة تماماً عن لغة الحوار الحقيقي، وهو ما يجعل القوى الخارجية تستسهل إضرام نار الفتن في جغرافيتها المشتعلة أصلاً.

إن الشرق الأوسط لم يكن يشكل على إسرائيل وجودها بكله، وذلك لعدم توحده تحت راية فكرية أو أيديولوجية واحدة. وهنا يظهر لنا بشكل جلي أن هذه المنطقة، منذ نشوئها، لم تكن تنظر للاختلاف كظاهرة إنسانية طبيعية، بل كمخطط خارجي يهدد أمن استقرارها، على الرغم من كونها هي المصدر الرئيسي لتلك الاختلافات. ومن هنا نشأت إشكالية "الشرق الأوسط المسلم مقابل الشرق الأوسط غير المسلم"، وهو العامل الأساسي الذي شرعن وجود إسرائيل ككيان أو دولة في المنطقة.

تجاوز صراع الهويات الجغرافية

إننا اليوم لسنا بحاجة إلى لغة نزاع بالأحقية؛ فكل الأديان في منطلقاتها لم تقم على أساس جغرافي صرف، بل على أساس إنساني قيمي. اليهودية وعدت أتباعها بالديمومة، والإسلام وعد المسلمين بالتمكين، لكن الصراع الجغرافي حوّل الوعود الروحية إلى ترسانات عسكرية.

لسنا بحاجة للمطالبة بحقوق ضيقة؛ فكل الدول التي نراها الآن، قبل قرن ونيف، لم تكن تقاتل من أجل رايتها أو وجودها الحالي، بل كانت تقاتل تحت ظل إمبراطوريات استخدمتها كأدوات لقرون سبقت. إننا اليوم بحاجة لفهم المعنى الحقيقي للتعايش؛ ذلك التعايش الذي لا يفرض تبني رأي الآخر، بل يفرض احترام وجوده المرتبط بقدرنا بشكل نهائي.

هذا لا يعني أبداً تجريم المنظمات التي سعت وجاهدت لاسترداد حقوقها، بل هي دعوة صادقة لإعادة النظر في أساسيات الوجود، واللجوء إلى طرق تدعم الحوار. فهذه الحركات لم تقم على أسس ضعيفة، بل على جذور دينية واجتماعية تمتد لقرون، وهي تمتلك من العمق ما يؤهلها لتطوير خطابها الإنساني.

الإرهاب ومعايير القوة: برؤية نقدية

يجب علينا عدم تعريف الإرهاب والإجرام وفق أيديولوجيتنا الخاصة، بل على أساس "الفعل والمبدأ". فتجريم المقاومات الإسلامية عبر لغة الخطاب "الإسرا-أمريكية" ليس نتيجة حتمية لإجرامها، والعكس كذلك صحيح في تقييم أفعال الطرف الآخر.

المطلوب الآن هو التخلي عن التصعيد القائم على "إثبات الوجود" أو "الأحقية التاريخية"، فهذا أمر قد قضي وفُصل فيه بالدم والدموع. الواجب الآن هو الدعوة إلى **"تعايش منزوع الأيديولوجية"**، مبني على أسس تاريخية ثابتة تضمن للجميع حقهم. لقد آن الأوان للجيل الشاب في الشرق الأوسط أن يخرج من عباءة الصراعات الموروثة ليعيش تحت ظل "الإنسانية فقط."

المعضلة النووية: نحو شرق أوسط منزوع النووي

إن وجود المشروع النووي في إسرائيل لا يقل خطورة عن وجوده في إيران؛ فالخطر ليس في مجرد إنشاء المشاريع، بل في "أين" تُقام وبأي عقلية تُدار. إن الشرق الأوسط، بطبيعته التكوينية المبنية على أسس تاريخية متضاربة، غير قادر على حمل هكذا مشاريع انتحارية.

و بالتالي فأن الحل يكمن في "شرق أوسط خالٍ تماماً من أي مشروع نووي"، مقابل تحالفات عالمية مع مشاريع نووية دولية تضمن العدالة في امتلاك القوة. وهذا يتطلب:

1. **إعادة صياغة تامة** لمفهوم الدول النووية وترتيبها وفق لغة خطابها (دفاعي أم هجومي).
2. **تحكيم دولي صارم** يوزع حق امتلاك الطاقة النووية بصيغة "التراتبية التشاركية."
3. **المشاريع الائتلافية :**بحيث يحق لدولة معينة امتلاك النووي بشرط أن تضم تحت مظلتها عدة دول تشارك في الإدارة والرقابة، مما يمنع التفرد بالقرار ويجنب الدول خطر المحو من الوجود.

إن منح الدعم المشروع والعادل يجب أن يمر عبر قنوات إنسانية تضمن ألا يتحول السلاح إلى أداة لفرض "أحقية" زائفة على جثث الآخرين. إن حلم الشرق الأوسط الجديد يبدأ من تجريد السلاح وتكريس الإنسان